الرَّبُّ

من أسماء الله الحسنى الرب.. وهو من أقرب الأسماء إلى العبد ، والربُّ اسمٌ من أسماء الله الحُسنى إلا أنَّه من الأسماء الزائدة على الأسماء التسعة والتسعين التي وردت في أحاديث رسول الله ﷺ .

الربُّ في اللُّغة هو المالك ، هو السيِّد ، هو المُنعم ، هو المربِّي ، ولعلَّ أقرب المعاني إلى الإنسان أنَّه المربِّي ، ولا يطلَقُ غيرَ مضافٍ إلا إذا توجه إلى الله تعالى ، رب ، أو الرب ، أمّا إذا أُضيف فإنه يتوجه إلى الله تعالى أو إلى عباده ، كقولنا : ربُّ الدار أي صاحبها ، إذا أُضيف فهو مشتركٌ بين الذات الإلهيّة والإنسان ، أما دون إضافة.. ربٌّ أو الربُّ فلا يتوجه إلا إلى الله تعالى .

عالمٌ ربَّانيٌّ أي راسخٌ في العلم ، إنسان ربَّانيٌّ : أي كلُّ حياته محصورة في معرفة الله وذكره وخدمة عباده ، فالربَّاني هو الذي لا يتحرَّك إلا وفق منهج الله ، لا يقف موقفاً ، ولا يُعطي ، ولا يمنع ، ولا يغضب ، ولا يرضى ، ولا يصل ، ولا يقطع ، إلا وفق مرضاة الله ، عالمٌ ربَّاني.. أي راسخٌ في العلم ، وكما يقول سيدنا علي : الناس ثلاثة.. عالمٌ ربَّانيّ ، ومستمعٌ على سبيل نجاة ، وهمجٌ رَعاع أتباع كلِّ ناعق ، لم يستضيؤوا بنور العلم ، ولم يلجؤوا إلى ركنٍ وثيق .

أكرر : العالم الربَّاني هو الراسخ في العلم ، الإنسان الربَّاني هو الذي لا يتحرَّك إلا وفق مرضاة الله ، كل حركاته في حياته بما يرضي الله عزَّ وجلَّ .

لفظ الربّ مشتقٌّ من التربية ، فالله سبحانه وتعالى مربٍّ ومدبِّر لخلقه ، المربي له صفتان أساسيَّتان . . أنَّه مُمِدّ ، وأنَّه يرعى ، فالذي يمدِّنا بما نحتاج إليه هو ربُّنا ، والذي يُمدُّ أجسادنا هو ربُّنا ، والذي يربِّي نفوسنا ، ويهدينا إلى صراطه المستقيم ، ويُلْجئنا إلى بابه هو ربُّنا .

وأضرب مثلاً ، ولله المثل الأعلى ، الأب يوفِّر لأولاده حاجاتهم الماديَّة ، من طعام ، وشراب ، وكِساء ، وحاجات شتى ثم يربِّيهم ، بمعنىً آخر يرعى أخلاقهم ، يرعى دينهم ، يرعى تعليمهم ، يرعى مستقبلهم ، ففي معنى الربوبيَّة المشتقَّة من التربية معنىً ماديّ ومعنىً روحيّ .

قالت العلماء : وإذا أُدخِلت ـ ال ـ على كلمة رب اختصَّ الله تعالى بها ، الرب هو الله لأنَّها للعهد ، أي الربّ المعهود ولا ربَّ سواه .

الله سبحانه وتعالى مالك المُلك ، مالك المالك والمملوك ، فما معنى قوله تعالى :

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الفاتحة : ٢] .

أي مالك المالك ومالك المملوك ، مالك السيِّد ومالك العبد .

الرب من معانيه أنَّه خالقٌ ورازقٌ ، وكلُّ ربٍّ سواه غير خالقٍ وغير رازقٍ .

الأب يربّي أولاده ، لكن لم يخلقهم ولم يرزقهم ، فإذا قلنا : فلان مُرَبٍّ ، والأب مُرَبٍّ ، والمعلِّم مُرَبٍّ أي يقدِّم توجيهات ، يتابع ، يحاسب ، يضيِّق ، يشدد ، يكافىء ، يعاقب ، أما إذا قلنا : الله ربُّ العالمين أي خلقنا وأمدَّنا ووجَّهنا .

لذلك أنت في نعمٍ ثلاث . . نعمة الإيجاد ، ونعمة الإمداد ، ونعمة الهدى والإرشاد ، أوجدك ولم تكن شيئاً مِن قبل ، وأمدَّك بما تحتاج إليه ، ثم هداك إليه وأرشدك .

كلمة الرب وردت في القرآن الكريم بضع مئاتٍ من المرَّات ، حتى إنَّ بعض المصاحف التي تُلوِّن كلمة الله باللون الأحمر ، تلوِّن معها كلمة رب ، فأقرب اسم لك هو ربُّ العالمين .

والحقيقة أن كل واحد منا ، وبشكلٍ موسَّع ؛ كل مؤمن يتحدَّث عن ربوبيَّة الله الشيء الكثير ، فيقول لك : فعلت كذا فأدَّبني ، فعلت كذا فكافأني ، دعوته فاستجاب لي ، ظلمت فظُلِمتُ ، اعتديتُ فاعتُدي علي ، أكلت مالاً مشبوهاً فأتلف الله مالي . . كل واحد فيما بينه وبين الله يعلم أنَّ الله سبحانه وتعالى يحاسبه حساباً دقيقاً ، هذه هي التربية الروحية ، ففي سورة الفاتحة قال تعالى : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ .

فالله عزَّ وجلَّ قوي ، وقدير ، وعليم ، وجبَّار ، ومتكبِّر ، وقاهر ، أما أنت كعبد فالله عزَّ وجلَّ ربُّك وهو الذي خلقك ورزقك ودلَّك عليه . . قال الله تعالى حكاية عن سيدنا إبراهيم : ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴾ [الشعراء : ٧٨ـ٨٢] .

الحقيقة كلمة (رب) . . ذات خصائص جمة أولاً ؛ فمن خصائص التربية العلم والرحمة ، ومن خصائص التربية القدرة ، فهو يعلم ، وهو على كل شيء قدير ، وهو رحيمٌ بنا ، أما معنى قول الله عزَّ وجلَّ في سورة الفاتحة ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فهو أنَّه خالق الأكوان وجميع العوالم التي خلقها ، فالعلاقة بين خالق الأكوان وجميع العوالم علاقة تربية أي خلقٌ وإمداد وإكرام وعناية ، علاقة حب ، علاقة عناية ، فأحياناً يكون هناك علاقة بين شخصين علاقة محاسبة ، علاقة انتقام ، علاقة قسوة .

وأوضح مثل : علاقةُ أيَّةِ أمٍّ على وجه الأرض بابنها علاقة حب ، علاقة رحمة ، علاقة صلاح ، فإذا قلنا : الله ربُّ العالمين ، أو ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أيْ أنَّ الله سبحانه وتعالى هو خالق الأكوان ، وما سوى الله عوالم ، والعلاقة بين الخالق والعوالم التي خلقها علاقة رحمة ، فالرحمة عطاء فيها علم ، وفيها قدرة ، وفيها جمال ، وفيها لطف ، وفيها عناية .

لذلك يقول عامر بن عبد الله : « **واللهِ لو كُشِفَ الغطاء ما ازددتُ يقيناً** » ، والحقيقة أنك لن تكون على نحوٍ يَرضَى الله عنك إلا إذا أيقنت بربوبيَّته لك .

لقد سمعت ذات مرة كلمة ما زالت عالقة بذهني . . فقد كان إنسانٌ يصيح في الطريق ويبدو أنَّ لديه مشكلة ما ، فصاح غاضباً وقال : يعني : إذا لم يكن له أب أما له رب! هذه الكلمة تركت في نفسي أثراً كبيراً ، فالمربّي هو الله ، قد تجد يتيماً تولاَّه الله بالعناية ففاق كلَّ الأطفال الذين ربَّاهم أهلوهم .

وفي الفاتحة.. ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.. وكلمة ربّ العالمين لا تعني أنَّه ربُّ الإنسان فقط ، فأحياناً الإنسان لضيق نظره ، ولضيق أفقه ، ولمحدوديَّته يظُنُّ أنَّ الله له وحده ، أو له ولإخوانه ، أو له ولجماعته ، أو له ولمسجده ، ألا فاعلم أنّ ربَّنا عزَّ وجلَّ لكلِّ عباده ، لكلِّ المؤمنين فهو ربُّهم ، لكلِّ الناس ، لكلِّ الحيوانات ، لكلِّ النباتات ، لكلِّ الجمادات ، لكلِّ العوالم ، إنه ربُّهم ، وهو رب كل شيء .

يقولون : عالم الحشرات ، عالم النبات ، عالم الأسماك ، عالم الأطيار ، عالم الفضاء الخارجي ، عالم الأرض ، عالم الجبال ، عالم البحيرات ، عالم البحار ، كل المخلوقات المتجانسة اسمُها عالم ، واللهُ ربُّ العالمين.. ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ .

وفي سورة الأنعام قال تعالى :

﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [الأنعام: ١٦٤].

ما من كلمةٍ في اللُّغة أوسع شمولاً وأكثر استغراقاً من كلمة شيء.. فالذرة شيء ، وجزئيَّات الذرة شيء ، النواة شيء ، والكُهيرب ـ الإلكترون ـ شيء ، المدار شيء ، الفيروس شيء ، عوامل المرض ـ وهي أقلُّ من الفيروس ـ شيء ، الشمس شيء ، المجرَّات شيء ، الكون شيء حقاً ، ما من كلمةٍ في اللُّغة أوسع شمولاً ولا أكثر استغراقاً من كلمة شيء.. قال الله تعالى : ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ﴾ .

فإذا أردت أن تقيم علاقة طيِّبة ؛ أَتُفَضِّلُ أن تقيمها مع شُرْطيّ

وتسترضيه ، وأنت تعرف أن عمله محدودٌ بساحة من الساحات وهو فقط ينظم شؤون السير ، ولا يملك أيَّ شيء آخر ، أم تقيمها مع ملك يملك البلاد كلَّها بخيراتها وبمواردها ، وبثرواتها وسائر شؤونها . . أيهما تتخذ وليّاً لك ؟!! ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ . . ليس ربَّ الناس ، بل هو ربّ العوالم ، ربُّ المخلوقات جميعاً .

فربما ينام أحد في خيمة في البادية ، وقد يخاف من وجود أفعى تتسلل إليه ليلاً ، وهذا ممكن جداً في الصحراء ، ولابد أن ينام لأنه متعب مرهق ، فينام متوكلاً على الله . وأنت حينما تنام على من تتوكَّل ؟ تتوكَّل على ربِّ العالمين ، هذه الأفعى بيد الله عزَّ وجلَّ وهو الذي يحول بينها وبينك إن تتوكل عليه ، وأنت حينما تتعامل مع خالق الكون فكلُّ المخلوقات بيده . . ﴿ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ .

وفي سورة الأعراف قال الله تعالى :

﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأعراف : ٥٤] .

كأنَّ هذه الآية أشارت إلى تعريف الربوبيّة . . أحياناً نصنع طائرة ونبيعُها ، فنحن صنعناها . أما أمرها الآن فبيد مَن اشتراها ، قد يستخدمها لعدوان ، أو يستخدمها لنقل ، أو يستخدمها في أعمال الاستطلاع ، أو يجعلها على أرض المطار جاثمة ، أو يخفيها ، الذي اشتراها هو الذي يملك أمرها ، نحن صنعناها ثم بعناها ، لكنَّ الله سبحانه وتعالى ، ولله المثل الأعلى ، أيُّ شيءٍ خلقه بيده ، بملكوته . . ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ .

هناك معنى آخر.. فهذا الشيء الذي خلقه الله عزَّ وجلَّ : صلاحُ أمرِهِ وكل أحواله منوطٌ بخالقه ، التوجيه الذي يسعده هو توجيه خالقه ، التوجيه الذي يحفظه هو توجيه خالقه.. ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾.. أي ينبغي أن تتبع أمر الذي خلق .

فالمعنى الأول.. ﴿لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾.. أي خَلَقَهُ ويأمرُه دائماً ، أي أمره بيده ، تحت سيطرته ، في قبضته ، في ملكوته .

المعنى الثاني.. أنَّ هذا الشيء الذي خُلق لا يصلُح ولا يستقيم أمره إلا إن اتبع أمر الذي خلق.. ﴿لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.. ربُّ العالمين هو الذي ﴿لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ .

وقال الله تعالى في سورة التوبة : ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [التوبة : ١٢٩] .

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾.. هو الرب ، أي ما من حركةٍ ، ولا من سكنةٍ ، ولا خفضٍ ، ولا إعزازٍ ، ولا إذلالٍ ، ولا قبضٍ ، ولا بسطٍ ، ولا سكينةٍ ، ولا خوفٍ ، ولا قلقٍ ، ولا طُمأنينةٍ إلا بيده.. ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾.. أي يكفيني .

إذا أعطينا إنساناً شيكاً مفتوحاً وموقَّعاً وتركنا له الخيار في أن يضع فيه ما يشاء من المبالغ ، فلو سجل مليوناً أو ألف مليون أو مليون مليون كلُّه نافذ ، أفمن يملك هذا الشيك المفتوح والذي سجل فيه أكبر رقمٍ حتى لو كان رقماً فلكياً.. كمن يفرح بعدد من الليرات الحديد التي ترن في جيبه ؟ لا يستويان ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ﴾..

فإذا قال المؤمن : « حَسْبِيَ اللهُ ».. فأنت مع القوي ، ومع الغني ، ومع الرحيم ، فأنت مع الخالق ، ومع القديم ، ومع

الأبدي ، أنت مع من بيده كلُّ شيء . . « حَسْبِيَ اللهُ » . . ونعم الوكيل . . فهذه آية ، وقد روي أن النبي عليه الصلاة والسلام كان يقول حسبي الرب من العباد ، حسبي الخالق من المخلوقين حسبي الرازق من المرزوقين حسبي الذي هو حسبي حسبي اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ

﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ [آل عمران : ١٧٣] .

قرأت عن سيدنا الصديق أنه : ما ندم على شيءٍ فاته من الدنيا قط ، لأنَّ الله حسبه ، ومن كان الله حسبه كفاه أمر الدنيا كلَّها .

فقد قال الله سبحانه في أهل الكهف :

﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴾ [الكهف : ١٣ـ ١٤] .

لا أدري ما إذا كنت قد أوضحت هذه النقطة . . أنت حينما تكون مع إنسان فإنّ هذا الإنسان محدود مهما علا شأنه ، لكن حينما تكون مع الخالق فهو ربُّك وهو ربُّ السموات والأرض ، ولن يسلمك أبداً .

ذات مرة هاجت عاصفة شديدة جداً ولعل سرعتها كانت تزيد على مئة كيلو مترٍ فاقتلعت مئات البيوت المحميّة . . ولكن حدثت حادثة شديدة الغرابة . والمفارقة فيها غريبة ، بيتان متلاصقان ، فالقوس الأول ملتصق بالقوس الثاني ، وهذه البيوت مزروع بداخلها أشجار ذات ثمار ، والثمار في أيام البرد ترتفع أسعارها ارتفاعاً كبيراً ، فحجم إنتاج البيت مئتا ألف من الليرات تقريباً ، وهذه العاصفة

الهوجاء هبَّت فاقتلعت أحد البيتين وأبقت الآخر ، والبيتان لأخوين أحدهما صالحٌ والآخر شرير ، فالشرير اقْتُلِع بيته وأُتلف محصوله ، وأصبح بيته أنقاضاً على بعد أمتار من مكانه ، وهذا الشيء يكاد لا يصدَّق ؛ فالعاصفة عاصفة والمنطقة واحدة بل إنَّ البيتين متلاصقان ، فكلمة الفتية . . ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ . . فكلمة الفتية هذه تعني غاية التوكل والتفويض .

أيْ ربُّك الذي يرعاك ؛ بيده الرياح ، بيده العواصف ، بيده الأعاصير ، بيده الأمطار ، بيده إنبات النبات ، بيده مسببات الأمراض ، بيده الفيروسات ، كل شيء بيده . . ﴿ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ﴾ . . أيّ إلهٍ تعبده يكون دون الله عزَّ وجلَّ ، فأحياناً يكون دوناً بدرجة أو بدرجتين أو بثلاث أو بأربع ، أما إذا وازنا بين جهةٍ قويةٍ تمحضها ودَّك وخالق الكون فليس هناك نسبة تجمع بينهما ﴿ مِن دُونِهِۦٓ ﴾ . . فالله عزَّ وجلَّ فوق الخلق جميعاً ، وخلقه لا شيء إزاءه ، لذلك قالوا : ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴾ .

وقال الله تعالى في سورة الرحمن :

﴿ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ [الرحمن : ١٧ ـ ١٨] .

هناك ظاهرة لا ينتبه لها إلا القليل . . افتح تقويماً وقلِّب أوراقه وافتح على يوم الثامن والعشرين من تشرين الثاني مثلاً فتجد أنَّ شروق

الشمس عند الساعة الخامسة وسبع دقائق ، وهذا التقويم معمول به من خمسين سنة ، ويمكن أن يكون من مئة سنة وهو صالح لمليون سنة قادمة ، فحركة الأفلاك بمعشار الثانية :

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [غافر : ٦٤] .

فثبات حركة الأفلاك ، دليل واضح على أن حركتها وسكونها بيد الله تعالى . حتى إنَّ أضخم ساعة في العالم موجودة في العاصمة لندن ـ بيج بن ـ تضبط على نجم ، فقد تؤخَّر أو تُقَدَّم في السنة عدة ثوانٍ فقط ، فعلام تضبط ؟ إنها تضبط على نجم معين وهو أدقُّ منها ، تضبط عليه ، فهو مضبوطة حركته ، إذ أمره إلى الله سبحانه ، فهذا معنى قوله تعالى : ﴿ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ ﴾ فإذا كان للإنسان بيتٌ مشرفٌ على جهة الغرب أو جهة الشرق يقول لك : في الشتاء تشرق الشمس من ها هنا ، وفي الصيف تشرق من هاهنا ، فهناك مسافة كبيرة جداً بين المشرقين ، فالقوس الذي يسع أقصى هذا المشرق وأقصى ذاك المشرق على مدار الفصول قوسٌ واسعٌ جداً ، فهو في آية . . ﴿ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴾ . . هو الذي جعل الشمس تشرق وجعلها تغيب ، أما ربُّ المشرقين فيعني النهاية العظمى صيفاً والعظمى شتاءً .

إذا كان بيت الإنسان يطل على الغرب فإنه يرى الشمس تغيب في الشتاء بالاتجاه الغربي الجنوبي ، أما في الصيف فاتجاهها غربي تقريباً ، السبب في ذلك أن الشمس تكون في فصل الصيف عمودية ، أما في فصل الشتاء فتدخل إلى أقصى الغرف لأنها تكون في هذا

الفصل مائلة . . فمن جعلها هكذا ! لو أنها كانت دائماً عمودية لكنَّا في صيفٍ دائم ، لو أنها مائلة دائماً لكنا في شتاءٍ دائم ، أما أن تتنوع بين العمودية والمائلة فهو سبحانه الذي جعلها هكذا .

هذا معنى ﴿ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ ﴾ ، أما إذا قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [المعارج : ٤٠] .

فكل يوم لها شروق معين ، يتحرك على مدار العام من أقصى اليمين إلى أقصى الشمال وبالعكس ، كل يوم لها زاوية تشرق منها ، وربُّ العالمين أي مالكهم . . وكل مَن ملك شيئاً فهو ربه ، ربُّ الدار أي صاحب الدار ، ربُّ البيت أي صاحب البيت ، ربُّ الأسرة أي مالك الأسرة ، إذاً فالربُّ هو المالك .

وفي الصحاح : الرب اسمٌ من أسماء الله تعالى ، ولا يقال في غيره إلا بالإضافة .

الرب هو الله ، أما ربُّ البيت فقد يكون إنساناً ، والربُّ هو المُصْلِح ، والربُّ هو السيِّد ، والربُّ هو المدبِّر ، والربُّ هو الجابر ، والربُّ هو القائم . . ويقال لمن قام بإصلاح شيءٍ وإتمامه : ربَّه يرُبُّه فهو ربٌّ له ، والرب هو المعبود .

وإني أذكِّر مرة ثانية بأن أقرب اسم من أسماء الله الحُسنى إلى المؤمن هو اسم « **ربُّ العالمين** » على الحكاية ، أو اسم « **ربِّ العالمين** » على الإعراب ، فلك أن تقول سورة « **المؤمنون** » وبالإعراب سورة المؤمنين ، لكن لك أن تقول : المؤمنون اسمٌ للسورة . لك أن تلفظها بالرفع دائماً تقول سورة المؤمنون ، والعلماء يقولون : « **المؤمنون** » على الحكاية أي تحكى هكذا فلا نخضعها

للإعراب ، فلك أن تقول سورة « **المؤمنون** » وسورة المؤمنين وكلاهما صحيح .

في بعض التفاسير شرحت كلمة « رب **العالمين** » بما يشعر أنها تعني الثناء المطلق على الله ، مثلاً هناك إنسان جلاد ، عمله أن يجلد الناس ، وهناك مربٍّ ، وهناك سارق ، وهناك معتدٍ أثيم ، أما إذا دخلت إلى مدرسة ، فمدير المدرسة ماذا يمثِّل الأذى أم الخير ؟ طبعاً الخير ، والتربية والتعليم والتهذيب ، وتفقُّد الطلاب ، ورعايتهم ، رعاية سلوكهم وأخلاقهم وصحتهم وعلمهم ورعاية علاقاتهم الاجتماعية ، فمدير مدرسة ومدير مشفى كلاهما منصب خيري فيه خيريَّة وفيه رحمة ، لكن قد يكون السجَّان له وظيفة ثانية ، قد يجلد ، قد يعذب ، فعلاقة السجَّان مع السجين علاقة تعذيب لا علاقة رعاية ، علاقة ترويع ، علاقة قهر .

فالمعنى الذي أريد أن أقوله : كلمة ربٍّ العالمين هي ثناءٌ مطلق على الله . . ربّ العالمين أي هو خالق ، رب العالمين أي هو رازق ، رب العالمين أي مُمِد ، رب العالمين أي رحيم ، رب العالمين أي عليم ، رب العالمين أي قدير ، رب العالمين أي محب ، رب العالمين أي رؤوف ، فالخلق والرزق والإمداد والعلم والرحمة والقدرة والحب والإكرام والرأفة كلها جمعت بكلمة رب العالمين .

فقد قال بعض المفسرين : « **كلمة رب العالمين تعني الثناء المطلق على الله** » ، فإذا قلت ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فإنك تثني على الله عزَّ وجلَّ .

وبعد فتربية الله لعباده تأخذ منحيين اثنين : تربية خَلْقيَّة ، وتربيةٌ شرعيةٌ تعليمية .

فأنت عموماً والجو برد قارس وابنك الذي تحبه بلا معطف ، تذهب وتشتري له معطفاً ، هذه تربية خَلْقِيَّة ، يحتاج إلى غرفة خاصة ، يحتاج إلى نفقات ، يحتاج إلى كتب ، يحتاج إلى أقساط ، يحتاج إلى أشياء ثانوية . . فتعطيه إياها ، هذه كلها تربيةٌ خَلقية . . لكن إنْ رأيته يكذب فإنك تؤدبه ، إنْ رأيته لا يصلي فإنك تأمره بالصلاة ، إنْ رأيته يلهو بأشياء سخيفة فإنك تنهاه عنها ، أنت الآن عملك شرعي .

يوجد تربية خَلْقِية وتربية شرعية ، فربنا عزَّ وجلَّ يربي أجسامنا بإمدادها بما تحتاج إليه ، ويربي نفوسنا بتزكيتها لتكون أهلاً لجنَّته ، فتربية الله تربيتان ، لذلك ليس لغير ربِّ الناس جهةٌ يمكن أن تشرِّع للعبادة أبداً ، العبادة لربِّ العالمين .

وإليك معنىً آخر . . قالوا : الله عزَّ وجلَّ يربي نفوس العابدين بالتأييد ، ويربي قلوب الطالبين بالتسديد ، ويربي أرواح العارفين بالتوحيد ، ويربي الأشباح بوجود النِّعَم ، ويربي الأرواح بشهود الكرم ، الأرواح يربيها ، والأشباح يربيها بالطعام والشراب ، والعارفين يربيهم تربية رفيعة جداً ، كلما ارتقى الإنسان يحاسب حساباً دقيقاً ، فقد يُحاسَب على ابتسامة .

فبمستوى الدكتوراه في بعض الجامعات ، إذا أخطأ المتقدم لنيل هذه الشهادة في مناقشته بكلمة يعيد العام ويؤخَّر إلى عامٍ قادم ، كلما ارتقى مستواه يحاسب حساباً أدق ، فالعارفون بالله لهم حساب دقيق ، كلما ارتقى الإنسان في سُلَّم الإيمان يحاسب على الخطرات ، وكلما هبط مستواه يحاسب على الكبائر .

أيضاً من معاني الربوبية قالوا : « **إصلاح أمور العباد ، وهذا مشتق من ربَّيْت العديم**. . أربُّه فأنا أصلحه » ، فالله سبحانه وتعالى يصلح أمور الزاهدين بجميل رعايته ، ويصلح أمور العابدين بحسن كفايته ، ويصلح أمور الواجدين بقديم عنايته ، ويصلح أمور قومٍ يستغنون بعطائه ، ويصلح أمور الخلق جميعاً .

الآية الكريمة تقول :

﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ [النساء : ١١٣] .

﴿ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ . . ربَّاك وساقك إلى مجالس العلم ، ساقك إلى طاعته ، ألقى في قلبك محبته ، حبب إليك الإيمان وزينه في قلبك ، وكرَّه إليك الكفر والفسوق والعصيان ، هذه تربية .

إذا كان أب يسمع وابنه تكلم كلمة بذيئة أمامه ، فضحك له ، فإن الولد يكررها ويتفوّه بما هو أفحش منها وأسوأ ،أما إذا تكلم كلمة بذيئة فنهره وزجره ، فإن هذا الابن لن يعود إلى الكلام البذيء أبداً ، وإذا وجده يقرأ القرآن كافأه وشجعه ، معنى المكافأة والعقاب هذه تربية ، والحق أنّ أول صفة من صفات المربي ، أن يُكافيء المحسن وأن يُعاقب المسيء ، وربنا عزَّ وجلَّ بمجرد أن تفكر في التحرُّك نحوه تجد أن الله شرح لك صدرك ، ألقى في قلبك السكينة والطمأنينة ، وتيسرت أمورك وعاملك معاملة جديدة وأشعرك أنه يحبك ، ولمجرد أن ترتكب معصيةً يلقي في قلب العاصي الضيق والكآبة والحيْرة ، فالله يربينا عن طريق قلوبنا .

عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ : « **يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ وَطَاعَتِكَ** » فَقِيلَ لَهُ : يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ عَفَّانُ : فَقَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ : إِنَّكَ تُكْثِرُ أَنْ تَقُولَ : يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ وَطَاعَتِكَ قَالَ : « **وَمَا يُؤْمِنُنِي وَإِنَّمَا قُلُوبُ الْعِبَادِ بَيْنَ أُصْبُعَيِ الرَّحْمَنِ ، إِنَّهُ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُقَلِّبَ قَلْبَ عَبْدٍ قَلَّبَهُ** ـ قَالَ عَفَّانُ ـ **بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ** » [مسند الإمام أحمد] .

فأنت حينما تتخذ قراراً حكيماً في صالح إيمانك يشرح الله لك صدرك ، وحينما تنحرف قليلاً عن طريق الحق يملأ قلبك ضيقاً وقلقاً وحيرةً ؛ فالقضية إذاً دقيقة جداً في بيان مسالك المؤمنين .

قال الله تعالى :

﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة : ٢٨٦] .

قال الله تعالى :

﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟

﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ [آل عمران : ١٩١ـ١٩٥] .

لا بد من تعقيبٍ أخير على اسم الله : « **رب العالمين** » ، صدِّقوني أنَّ أحدكم إذا شعر أنَّ الله يتابعه ، ويحاسبه على حركاته وسكناته ، ويعاقبه سريعاً ويؤدِّبه سريعاً فهو في موطن عنايةٍ مشددة ، أما إذا ارتكب الإنسان المعاصي ولم يحاسبه الله عزَّ وجلَّ ، ولم يتابعه فاعلموا أنَّه خارج العناية الإلهيَّة لأنَّ الله علم فيه انحرافاً شديداً ، وتمرداً وعتواً وإصراراً على انحرافه فأوكله إلى نفسه ، فأحدنا إذا كان الله يؤدِّبه ويحاسبه ويحصي عليه أنفاسه ، ويحاسبه على كلمةٍ أو على نظرةٍ ، أو على حركةٍ لا ترضيه ويؤدِّبه سريعاً فهذا محضُ ربوبيَّة الله عزَّ وجلَّ ، وفي هذا الإنسان خيرٌ كبيرٌ وهو مطلوبٌ لرحمة الله ، والله عزَّ وجلَّ يؤهِّله لرحمته .

لذلك روي في الأثر القدسي : « **وعزَّتي وجلالي لا أقبض عبدي المؤمن وأنا أحبُّ أن أرحمه إلا ابتليته بكلِّ سيِّئةٍ كان عملها سقماً في جسده ، أو إقتاراً في رزقه ، أو مصيبةً في ماله أو ولده حتى أبلُغ منه مثل الذَّر ، فإذا بقي عليه شيء شددتُّ عليه سكرات الموت حتى يلقاني كيوم ولدته أمُّه** » .

هذه تربية الله لنا ، وليعلم كل مؤمن أنَّ المصائب كلَّها لو كُشفت حكمتها لكم لكنتم في درجةٍ من قَبولها لا توصف ، فأنا أعرف أُناساً كثيرين سببُ توبتهم ، وسببُ دخولهم في حظيرة الإيمان ، وسببُ سعادتهم وتوفيقهم مصيبةٌ ساقها الله لهم فأرجعتهم إلى الله ، قال تعالى :

﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾

[السجدة : ٢١]

﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ ﴾ . . بالدنيا . . ﴿ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ ﴾ . . بالآخرة . . ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ . . فلنفهم : أن الله إذا ساق لنا بعض الشدائد فهذا من أجل أن نتوب إليه ، لذلك ورد في القرآن الكريم . . ﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ ﴾ . . في قوله تعالى :

﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [التوبة : ١١٨] .

أي أنَّ الله ساق لهم الشدائد ليحملهم بها على التوبة ، فإذا قلنا : تابوا فتاب عليهم ، أي قبل توبتهم ، أما إذا قلنا : ﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ ﴾ . . أي أنَّ الله ساق لهم الشدائد ليحملهم بها على التوبة .

فالإنسان المؤمن لا يتضجر إذا الله عزَّ وجلَّ أدَّبه ، ومعنى ذلك أنَّه مطلوب ، فإذا قال أحدهم لصديقه : أنا لست في راحة من كثرة الوظائف والتبعات والتكاليف ، فأنا في السنة الرابعة في الجامعة والدروس علينا مكثَّفة ، والكتب صعبة ، والوظائف متتالية ، وعلينا تقديم أطروحة في آخر العام الدراسي ، والدوام كثير ولدينا دروس عملية ، فلست في راحة .

وقال له الآخر : أنا ليست لدي أية مشكلة ، فأنا أنام إلى الظهيرة ، لأنَّه بالطبع لا يدرس وهو خارج الجامعة ، وبدون عمل ولا مستقبل ، فليست لديه أي مشكلة بل هو في راحة ، فهذه الراحة راحة الموتى ، ولكن تعب الأول تعب الأحياء ، إن الله عزَّ وجلَّ إذا

علم فيك خيراً ، ووضعك ضمن العناية المشدّدة وتابعك ، فلا توازن نفسك مع من هو شارد تائه ، كالدابة المتفلّتة ، قوي ، غني ، صحيح ويمارس كل شهواته بحريّة بلا قيد أو شرط ، فلا توازن نفسك معه فأنت طالب علم ، وأنت ترجو رحمة الله ، أنت تطلب الجنّة ، أما ذاك فقد شرد على الله شرود البعير ، قال تعالى :

﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾ [الأنعام : ٤٤] .

وقد قال تعالى :

﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴾ [آل عمران : ١٩٦-١٩٨] .

قال تعالى : ﴿ وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾ . . فقط المؤمن يا ربِّ ، فقال له الله تعالى : ﴿ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ .

ملخَّص البحث . . إذا ساق الله لأحدنا بعض الشدائد فليعلم علم اليقين أنَّه مطلوب لرحمة الله ، وأن فيه خيراً ، وأنَّه في العناية المشددة . . فإذا الطبيب رأى مريضاً مصاباً بالسرطان من الدرجة الخامسة ، والمرض منتشر في كل أحشائه ، فبماذا ينصح المريض ؟ يقول له : ليست هناك مشكلة فكل ما شئت . . وإذا سأله المريض عن نوع من حبوب الدواء هل يتناوله ؟ فيجيبه : كيف ما تريد وتحب ، وعلى حسب راحتك . . فتجده متساهلاً معه كثيراً لأنه لا يرجى شفاؤه ، أما إذا كان مريضاً بالتهاب في المعدة تجده ثائراً عليه فيما

إذا تناول طعاماً غير مناسب ، فإذا كان هناك أملٌ في الشفاء فتجد الطبيب يعامله بشدةٍ بالغة ، أما إذا لم يكن هناك أملٌ في الشفاء فتجده يسيِّب له الأمور ، فإذا كان الله يتابع الإنسان فمعنى ذلك أنَّ الله يحبه وهو في العناية المشدَّدة .

لذلك . . إذا أحبَّ الله عبده عجَّل له بالعقوبة . . إذا أحبَّ الله عبده ابتلاه ، فإن صبر اجتباه ، فإن شكر اقتناه . . إذا أحبَّ الله عبده جعل له وازعاً من نفسه . . إذا أحبَّ الله عبده جعل حوائج الناس إليه .

فالمؤمن لا يتضجر ولا يتأفف من تضييقٍ من الله عزَّ وجلَّ ، فهذا التضييق محض رحمة ، ومحض إكرام ، وهو النعمة الباطنة كما فسَّرها المفسِّرون . . ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ . . في قوله تعالى :

﴿أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾[لقمان : ٢٠] .

* * *